

الدخول في كنف وكفاية الله تعالى من ثمرات التوكل على الله

إن الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ثم أما بعد؛ فإنه من ثمرات التوكل على الله العظيمة والتي يجنيها المتوكل بعد تحقيقه العمل الرفيع الخالص الصائب، وهو الدخول في كنف وكفاية الله تعالى.

قال تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩]، فإنه سبحانه وتعالى تنتهي القوة، والملك، والعظمة، والجاه، وهو حسب من لا ذبه وحسب من والاه، فالمتوحد بالألوهية هو الكافي المعين، وهو مالك كل شيء وخالقه، لأنه رب العرش العظيم، الذي هو سقف المخلوقات، وجميع الخلائق من السماوات والأرضين وما فيهما، وما بينهما مقهورون بقدرته الله، وعلمه محيط بكل شيء وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل^١.

فإذا علم المؤمن صفات خالقه تلك، فكيف لا يلوذ به، ويدخل في كفايته أحد، ولن تكون الكفاية والحسب إلا لمن آمن، واتقى، وكلما كان العبد حسن الظن بالله صادق التوكل عليه، فإن الله لا يخيب أمله فيه ألبته.

"فإن الله تعالى شر في بيان كفايته لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ٦٤]، في جميع أموره وحده أو مأمور المؤمنين، أم في الأمور المتعلقة بالكفار كافة"^٢.

فقد قال تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: ٣]، والمعنى "كل من يتق الله فيما نابه كفاه ما أهمه"^٣، "وأخبر أن كفايته لهم مقرونة بتوكلهم عليه، وأنه كاف من توكل عليه وحسبه. وجعل لكل عمل من أعمال البر، ومقام من مقاماته جزاء معلوما.

وجعل نفسه جزاء المتوكل عليه. - فانظر إلى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل، ولم يجعله لغيره. وهذا يدل على أن التوكل أقوى السبل عنده وأحبها إليه. وليس كونه وكل الأمور إلى

^١ انظر لابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٢/٦٢٧)، وللألوسي، روح المعاني، (١١-١٢/٥٣)، ولسيد قطب، في ظلال القرآن (٣/١٧٤٣)

^٢ انظر للألوسي، روح المعاني (٩-١٠/٣٠)

^٣ انظر للبعوي، معالم التنزيل، (٥/٤٠٢)

نفسه بمناف لتوكل العبد عليه، بل هذا تحقيق كون الأمور كلها موكولة إلى نفسه سبحانه وتعالى^٤.

وفي الحديث: "عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: "إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت فتتحنى له الشياطين، فيقول له شيطان لآخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقيت؟"^٥.

ففي الحديث درس لبداية أي عمل ونهاية أي عمل، فالتسمية بالله فيها الراحة ومن ثم التوكل عليه وتفويض الأمور إليه وتسليمها للخالق، لأن المؤمن وكل مخلوق على وجه الأرض وفي الكون ليس له لا حول ولا قوة.

وكذلك في الحديث درس في أن التوكل كما أنه قول باللسان هو اعتقاد وعمل وبهذا يكون التوكل هو هؤلاء جميعًا اعتقاد، وعمل وقول باللسان.

فصدق التوكل أن تثق في الله وفيما عند الله، فإن أعظم وأبقى مما لدى العبد في دنياه.

فالعبد يقوم بما أمر به سبحانه من إخلاص واجتهاد، وتوكل والله تعالى يقوم بما ضمنه له من الرزق والكفاية، ومن سعادة المرء أنه إذا توكل على الله كفاه الله سائر الأمور، ولكن إذا توكل العبد على غيره قطع الله عنه سائر الأمور، فالعز كل العز في التوكل على الله، والذل كل الذي في التوكل على المخلوقين، فينبغي إظهار الفقر إلى الله تعالى، بطلب المعونة على ما يزاوله من الأمور، ولا بد أن يكون هذا حال الخلق من المؤمنين، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ولو اتفقت عليه الخليفة.

^٤ انظر لابن القيم، مدارج السالكين، (١٣٣/٢-١٣٤)

^٥ رواه أبي داود في سننه، رقم: (٥٠٩٥).